

النقد الثقافي: من وظيفة المنظومة الاصطلاحية إلى نسقية الخطاب

Cultural criticism: From the function of the conventional system to the systematics of discourse

ريمة حمريط*

محمد بوضياف - المسيلة
(الجزائر)

rima.hamrit@univ-msila.dz

ملخص:	معلومات المقال
يؤسس النقد الثقافي في حقيقته مجموعة من الإشكالات التي من الصعوبة أن تجتمع في حقل من الحقول المعرفية، فهي تتولى إعادة توجيه الأسئلة ومناقشة تصوراتها وفق صيغة التفاعلية المتجددة والمنفتحة التي تبرز ميزة التغيير في التفكير والتفسير من خلال البحث عن إجابة دائمة في عقلية المتلقي. إن النقد الثقافي مبهم ومثير للجدل، وله وقع هجومي على من يسمعه، وما يزال منذ نشأته وظهوره محل رفض من الأكاديميين والباحثين، وكل هذا يعيدنا إلى بداية الطرح بمقولة موت النقد الأدبي والإشارة إلى إسهام نظري نقدي بمثابة ثورة معرفية تتناسب مع فكرة التفاوضية والتعددية الثقافية ضمن إطار من الافتراضات في التعامل مع النص كمارسة نقدية ثقافية لها دلالة قد توجد بدرجات متفاوتة داخل المدارس النقدية، لكن وفق منظومته الاصطلاحية في القراءة والتحليل الدقيق من زاوية نسقية الخطاب.	تاريخ الارسال: 2026-02-22 تاريخ النشر: 2026-06-12
	الكلمات المفتاحية: ✓ النقد الثقافي ✓ المنظومة الاصطلاحية ✓ نسقية الخطاب
Abstract :	Article info

Cultural criticism interrogates interdisciplinary issues through an epistemological reorientation. Despite academic rejection due to its ambiguous and controversial nature, it constitutes a revolutionary practice consistent with cultural pluralism and negotiation. Addressing the death of literary criticism, this approach situates the text within a discourse systematic framework, establishing significance across critical schools via terminological systems challenging recipients to seek permanent interpretive answers.

Keywords:

- ✓ Cultural criticism
- ✓ Terminological system
- ✓ Discourse systematics

1. مقدمة:

إن ما يشهده النقد الثقافي من تحديات تتعلق خاصة بأزمته الاصطلاحية إنما تمكن في ما يواجهه أساسا في التأسيس النظري والتطبيقي، خاصة في ظل التمسك بالتراث الثقافي وتأثير الثقافات، ومن أجل هذا فهو يحتاج دائما إلى توضيح وتأسيس لمصطلحاته ومفاهيمه والتمييز بينها بالمحاولة الجادة لبناء منهجية نقدية تعتمد أكثر على الفهم العميق للخطابات الجماهيرية باعتبارها قابلة للدراسة ما دامت مؤثرة.

من هنا تبرز الحاجة إلى إظهار الاهتمام بالنقد الثقافي كممارسة نقدية جديدة يتحقق فيه الوعي بالسياق الثقافي في الكشف عن الأنساق المضمرّة بعيدا عن خصوصية النص كخطاب لغوي جمالي، ولا يقلّ هذا أهمية عن التفكير في أدواته ومنظومته الاصطلاحية ووظائفها في تلقي الأدب، وتجاوزها إلى توسيع مدى الرؤية النقدية في البحث عن أفق ثقافي عميق في التحليل والتفسير للنصوص من أجل الوصول إلى الوظيفة النسقية، وإزاء هذا النقد الثقافي يعترف مفكروه "أن النصوص بالغة التعقيد وأن القراء يلعبون دورا مهما في تفسير النصوص إلا أن ذلك لا يعني أن النصوص ليس لها تركيبات داخلية أو خفية من التعارضات/ المتضادات التي تعطيها معنى" (أيزبرجر آرثر، 2003م، ص21) لأن عملية استقراء الأنساق تثير إشكالية التخفي التي سيعي المتلقي من خلالها إلى إثبات وجود رسائل مضمرّة، يهدف فعل التأويل للكشف عنها واستنطاقها وعيا نقديا غايته هي الثقافة، فالنقد الثقافي يعدّ نقدا واسع النطاق على المستوى الإيديولوجي والفكري والعقائدي والاجتماعي والسياسي والتاريخي... وهذا ما يقتضي مناقشة الدراسة ووظيفة المنظومة الاصطلاحية للنقد الثقافي والتداخل المعرفي الذي جعل أدواته غير مستقرة منهجيا بناء على علاقته بالدراسات الثقافية والنقد الأدبي، ليتحدد في هذا التناول المختلف من منظور التعدد المرجعي طرح الإشكال الآتي: إلى أي مدى استطاع النقد الثقافي تطويع منظومته الاصطلاحية للانتقال من بنية النص إلى تفكيك الوظيفة النسقية في الخطاب؟ طبعاً، وتتمحور هذه الإشكالية حول التحول من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي؛ إما بديلا عنه أو مكمل له، أو كمنظور يمكن الاعتماد عليه.

2. النقد الثقافي وتحول النظرية النقدية؛ إزاحة أم إحلال

يعد النقد الثقافي (Cultural Criticism) أحد أهم التحولات المعرفية في الدراسات الإنسانية المعاصرة، حيث انتقل بالتحليل من النص الجمالي المغلق إلى الأنساق المضمرّة. إلا أن هذا الانتقال يواجه إشكالات جوهرية تتعلق ببنائه الاصطلاحية ومنهجه في فحص النسق "بحيث يدفع به من الوظيفة الأدبية إلى الوظيفة النقدية، وعليه يقترح مجموعة من الإجراءات تطل: المصطلح، المفهوم، الوظيفة، التطبيق، لكي يمكننا من إحداث نقلة نوعية للعقل النقدي من كونه أدبيا إلى كونه ثقافيا" (سمير خليل، 2012م، ص26). وقد تجاوز النقد الثقافي الأدب بمعناه التقليدي دون إهماله من خلال إزاحته التركيز على الجماليات النصية للكشف عن الأنساق الثقافية الكامنة في وراء النص، مما يشكل توسيعا لدائرة القراءة وتكاملا لأهمية الأنساق الثقافية التي قد يتجاهلها النقد الأدبي، بالرغم من أن هذا الأخير لا يلغي النقد الثقافي والعكس صحيح.

وإن كان بحث النقد الأدبي هو حدود الاشتغال على دراسة العناصر التي تجعل من عمل ما عملا أدبيا، فهو يمتد إلى النقد الثقافي بما يقتضي وضع الأدب في سياق أوسع حيث تكوّن الثقافة وأنساقها ليتم التعامل معه باعتباره نسقا ثقافيا، وهذا جوهر الاختلاف بينهما، وإن طالت دعوة الغدامي لإحلال النقد الثقافي بديلا للنقد

الأدبي في بداياته لتبني هذا المشروع النقدي، إذ يقول: "... بما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخل الثقافي، فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي وإحلال النقد الثقافي مكانه" (الغذامي عبد الله، 2005م، ص 08) فإنه كان أشهر منظر عربي سعى لتحقيق ريادة هذا المشروع، وتخصيص منظومة اصطلاحية قائمة على منهجية أدواتية وإجرائية ووظيفة نسقية للخطاب، ثم إنه أثار أيضا مسألة فكرية استحوذت على اهتمام النقاد ورغبتهم في تبني هذا الفكر الغدامي كما فعل الناقد يوسف عليمات، فذهب لتأليف كتابيه: **جمالية التحليل الثقافي - الشعر الجاهلي أنموذجا، والنسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر العربي القديم**، محاولا بذلك تقويض مركزية الجمالية، وإزاحة النقد الأدبي؛ بفرض أنساق جديدة.

ومن هنا، يمكن القول "إن النقد الثقافي لا يمكن أن يدعو إلى موت النقد الأدبي بل إلى إحيائه بطريقة حديثة وحضارية، وقال بتجاوزه من خلال الأخذ بالأسباب والعلل التي جعلته نمطيا باحثا عن الجمالي فقط في الخطاب الأدبي، ولم يسلط الضوء على الأنساق الثقافية الكامنة وراءه." (سمير خليل، 2012م، ص 10) لأن اختلاف النقد الثقافي يكمن في حدود الاشتغال النقدي وموضوعاته وآلياته، كما يتأسس في ارتباطه بطبيعة الخطاب النقدي ووظيفته بمساءلة والدعوة إلى إحداث نقلة نوعية على مستوى التنظير والتطبيق النقدي على النصوص الأدبية، والعمل على تجاوز المقولات الفنية الجمالية النصية للتمهيد بالاتساع والامتداد للسياقات الثقافية الحاضرة لأساليبها اللغوية.

وتعد كتابات الناقد عبد الله الغدامي **الخطيئة والتفكير، اللغة والمرأة** وحواره الشهير مع عبد النبي اصطيف **نقد ثقافي أم نقد أدبي؟**، وما تعاقب عنها من كتب تتصل بقضية إحلال النقد الثقافي بديلا منهجيا يستعاض به للنقد الأدبي، كتابات كشفت عن تساؤلات ملحة ظلت مطروحة ولم يتم الإجابة عليها نظرا للمغالاة القليلة التي ذهبا إليها. فعمد الغدامي فيما بعد وحيدا إلى وضع كتاب جديد يفجر حالته القلقة أسماه **"النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية"** وهو يمثل علامة فارقة في النقد العربي المعاصر، حيث أحدث ضجة في الأوساط الأدبية بنقله التركيز من نقد النص (الجماليات) إلى نقد النسق (المضمرة الثقافية)، يصرّح بذلك معترفاً: "كنت أشعر بما يشبه الإنسداد المعرفي مع المنهجية النقدية بصيغتها المستقرة في النقد الأدبي، وكنت أعاني من تساؤلات عن نجاعة النقد الأدبي في كشف غير الجمالي في النقد وكأن أدوات النقد الأدبي قد استنفدت طاقتها في قتل الجمالي لدرجات الوقوع في التكرار... بينما النصوص تحفل بمضمرة لا حيلة لأدوات النقد الأدبي القارة على كشفها أو الحفر عنها" (الغذامي عبد الله، 2023م، ص 08) لقد لامست المقاربة الثقافية أفقا معرفيا جديدا قائما على الانفتاح الدائم غير النهائي في قراءة والاشتغال بالنصوص ضمن إطار نسقي معرفي غير مدين لتمثلات سابقة، مثلت تحديات لهذا التوجه النقدي في محاولة إثبات حدوده وإجرائاته، وإزالة المغالطات التي تؤسس لمساحة ديناميكية وحيوية في طرح النقد الثقافي ببعده النسقي بديلا عن جماليات النقد الأدبي الممتد في الشاعرية.

لعل ما ينبغي تأكيده بوضوح أكبر هو وهم إحداث القطيعة الإستمولوجية والمعرفية والنظرية مع النقد الثقافي، لأنه لم يكن ليكون بهذه الصيغة ما لم يمكن ربطه بكل هذه التراكمات منذ الشكلائية الروسية، والبنوية، والأسلوبية، والسيميولوجية وحتى تطورات ما بعد البنوية. فالنقد الثقافي إمتداد للنقد الأدبي وفق مغايرة الأخذ منه والاختلاف والتمايز عنه.

3. المنظومة الاصطلاحية للنقد الثقافي؛ من التعدد إلى التداخل:

ينقل النقد الثقافي الدرس النقدي من النص إلى النسق بالتركيز على منظومة اصطلاحية تتمثل في مجموعة من المفاهيم ما بعد الحداثية وما بعد البنوية التي "أدخلتنا إلى نقلة نوعية أخرى تمثلت في نقل النص وانشغالاته إلى الخطاب أو الممارسة الخطابية أو التمثيل كما يسميها ميشال فوكو Michel Foucault وهذه هي مهمة النقد الثقافي بتياراته المختلفة." (سمير خليل، 2012م، ص 11) غير أن تحدياته في نقل أدواته وتطبيقها تواجه مشكلة في ضبط هويته الاصطلاحية، حيث يخلط البعض بينه وبين الدراسات الثقافية، معتمدين على جهود فردية لا تفي بتأصيل المنهج، أي أن النقد الثقافي لم ينشأ إلا من "حيث الإهتمام بالخطاب بما إنه خطاب، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي" (الغذامي عبد الله، 2005م، ص 31) فالدراسات الثقافية حقل معرفي هدفها دراسة الثقافة وتحليل السياقات الاجتماعية

والسياسية في إطار نقدي لمعالجة قضايا فكرية متعددة بالتركيز على مجالات أوسع تشمل علاقات السلطة، الطبقة، العرق، الجنوسة...، لتتشبه في هذه الحالة النقد الثقافي في مواجهة الخطابات وتفكيكها. غير أنه هناك أدوات إجرائية في النقد الثقافي لا وجود لها في الدراسات الثقافية، ويتبدى ذلك في إجراءات التفكيك والكشف عن الأنساق الخفية في الخطاب، من خلال جملة من المصطلحات النقدية التي تتجاوز وظيفتها الجمالية إلى الإجرائية، "فلا يمارس النقد الثقافي عمله وكأنه خطاب متخصص مثل الخطاب الفلسفي أو السياسي أو الإقتصادي... إلخ، الذي يتناول الواقع القائم بمنظور ذلك الخطاب وأدواته، ولا يمكن التسليم بوجود واقع خارج الممارسات المولدة للمعنى، وهي جميعا وسائط ثقافية." (قنصوة صلاح، 2002م، ص 05)

إن الجديد في النقد الثقافي هو رفع الجمود الذي أدى إلى رتابة الذائقة والوقوع في فخ الرجعية المؤسسية (التماسس) في تكرار الموروث النقدي والاكتفاء بالتوصيف، مما جعل النقد الأدبي قبل ذلك مكبلاً تحكمه معايير الذوق وشروط الجمال المشروع، ولطالما سعى **فنسنت ليتش Vincent B. Leitch** عندما تبنّاه كبديل لما بعد البنيوية إلى تأصيل المصطلح وفق منهجية التجاوز بمحاولة تجنب - النقد الثقافي - من الوقوع في حبال التقييد الأكاديمي والمؤسسية؛ لا مجرد نظرية أدبية، وإنما ممارسة للوظيفة الكشفية التي تهدف إلى تعرية الأنساق الثقافية في الخطاب، وأفضل حالات التجاوز هي ممارسة نقد المؤسسة، وتبعاً لذلك فإن **ليتش** يعتقد أنه "حين يتعلق موقفه بوجود مشاركة النقد الثقافي في التحقيق المؤسسي، فإن التحول نحو الدراسات المؤسسية بين كبار المفكرين المعاصرين لا يتجنب صعوبات قراءة الأعمال الثقافية وفهمها أو ببساطة، بل إن هذا، سيعزز الانتقادات إلى حد كبير، لا شيء إلا لأنه يركز تركيزاً مكثفاً على شبكات السلطة والمعرفة المعقدة" (ليتش فنسينت، 2022م، ص 182). لقد كانت طبيعة النقلة الاصطلاحية كفيفة بتحرير الأداة النقدية وتحولها من كونها خادمة للنسق إلى فاعلة في الكشف عن سلطته ومركزيته والسؤال النقدي الحر. والمعلوم أن الغدامي أيضاً كان مساهماً في هذا التحول وداعياً لمقترح النقلة الاصطلاحية، الذي أضحت من خلاله الوظيفة الاصطلاحية تدور ضمن دائرة مفتوحة ومتغيرة من المعايير، ليست تلك الثابتة التي تكرسها المؤسسة في تعاملها مع النقد كمادة تعليمية غير حيوية.

لقد تعددت مستويات النقلة الاصطلاحية للنقد الثقافي، إلا أن وظيفتها في فهم الرسالة جاءت لقياس فهم التواصل العالمي الممتد من المرسل إلى المرسل إليه، إلى علاقة الدال بالمدلول، ثم إلى علاقة التأثير والتأثر بينهما، وهنا تصبح الإشارة إلى تعدد الأسباب من أجل دراسة تداخل مصطلحات النقد الثقافي الإجرائية لتحليل النص الأدبي ضرورة للتخلص من محدودية المناهج اللسانية والجمالية للكشف عن الأنساق الثقافية المتفرعة والمترابطة داخل النصوص الأدبية، لأن الجديد الآخر في النقد الثقافي هو "رفع الحواجز بين التخصصات والمستويات في الممارسة الإنسانية لأنها تنتمي جميعاً إلى الثقافة، التي هي مجمل صنع الإنسان في البيئة الطبيعية" (قنصوة صلاح، 2002م، ص 05)، ويمكن القول أن معطياته الاصطلاحية واسعة النطاق تتجاوز ما هو متداول في النقد الأدبي والتحليل والتفسير إلى مصطلحات لا تدرس النصوص الأدبية مجردة، بل تحيط بها وتُمارس عليها بطريقة إجرائية من خلال ربط النص بكل منتج ثقافي قد يتحقق بينهما التأثير والتأثر، فتبتعد عن الدلالات المباشرة، إلى الكشف عن المثاقفة التي تعبر عن مستويين مختلفين من الثقافة في انتقالها إلى الحدود النقدية لدراسة الخطاب الأدبي، فيما يجعل النقد الثقافي مشروعاً تداخلياً مع الدراسات الثقافية، والمناهج النقدية. وبالتالي، فيمكنه مواجهة تعدد اصطلاحات من شأنه أن يصبح أكثر صعوبة في النقد والتحليل إلى درجة أن في كثير من الحالات تكون شديدة الإبهام "فعندما يتواصل نقاد الثقافة بعضهم ببعض في الكتب والموضوعات فهم يتحدثون بشكل عام بلغة تميل إلى الغموض حيث يصفها الإنسان بالרטانة (اللغة غير المفهومة) حيث تكون صعبة الفهم" (أيزبرجر آرثر، 2003م، ص 31) والمنظومة الاصطلاحية للنقد الثقافي تنتقل من حالة التعدد إلى حالة التداخل في صورة من صور الاشتباك المنهجي، وهذا التحول بقدر ما يمثل تعقيداً لحدود نشاط الممارسة النقدية الثقافية، بقدر ما يعطي هذا النقد قوته في تحليل الظواهر المعقدة. كما تبرز أسباب تعدد مصطلحات النقد الثقافي وتداخلها من خلال العلاقات المتشابكة لمعطيات أشبه ما يمكن تعريفها أن تعبيرها هو تعبير عن مفهوم واحد وشامل هو الثقافة، فهو لم يكن وليد مرجعية واحدة، وإنما تكون هجيناً مستمداً مصطلحاته من حقول معرفية متنوعة حددت مساره من التعدد إلى التداخل.

1.3 مرحلة التعدد: من بين الأسباب الباعثة على هذه التعدد:

الاستعارة المنهجية (تداخل المناهج): استعار النقد الثقافي مصطلحاته من مرجعيات نظرية متنوعة (اللسانيات، الأنثروبولوجيا، الماركسية، بنيويات ما بعد الحداثة؛ التفكيكية، التاريخانية الجديدة، التحليل النفسي) موظفا "المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ المؤسساتية، من دون أن يتخلّى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي" (عليّات يوسف محمد، 2009م، ص165) وهو بذلك يجعل من أدواته مزيجا معرفيا متداخلا، ويخلق بهذا التعدد نوعاً من الضبابية حول حدود الجهاز المفاهيمي، ونجد على سبيل التمثيل أخذه مفاهيم مثل (النص، الخطاب، التفكيك) من البنيوية وما بعد البنيوية على سبيل الاستعارة اللسانية، ومفاهيم (الطبقة، الهيمنة، المؤسسة) من النظرية الماركسية ومدرسة فرانكفورت على سبيل الاستعارة السوسيولوجية، وأيضا مفاهيم (اللاشعور، الكبت...) من التحليل النفسي لفهم اللاشعور واللاوعي الثقافي على سبيل الاستعارة من المنهج النفسي، وكذا استعار مفاهيم (الطقس، الأسطورة) على سبيل الاستعارة من النقد الأنثروبولوجي، وغيرها من الاستعارات. لكن، قد يحتاج النقد الثقافي لهذه المرجعيات النظرية المعرفية من أجل توفير منظورات متنوعة للقراءة، فالنقد الماركسي يركز على الشرط الاقتصادي ويقوم على تحليل الطبقة بناء على البنية التحتية والبنية الفوقية، باعتماد كل شيء خارج النص ثم يتم إسقاطه، غير أنه ضعيف في التحليل الشكلي، والنقد النسوي يتفوق في التركيز على تحليل الجندر، ولكن لا يتمكن من تحليل الطبقة والعرق، أما النقد البنيوي بمستوياته قوي في التحليل السردى ولكنه شديد الانغلاق، ومبالغ في الشكليات ومعنى هذا أن "من المستحيل قيام مقارنة مجردة وشكلانية للأدب، فكل عمل أدبي في العالم هو جزء من ثقافة إنسانية ما، بالمعنى الذي يعطيه الأنثروبولوجيون للكلمة، ولا يمكننا أن نضفي عليه معنى إلا ضمن تلك الثقافة". (جاكسون ليونارد، 2012م، ص138) يترتب على هذا المنظور أن هذا النقد ذو طبيعة جدلية يتأسس جراء تجميع وتفاعل وتداخل الدراسات الثقافية والمرجعيات النقدية التي تُعنى بمساءلة الخطابات باعتبار ما يشكل نقطة الارتكاز تحت مظلة Umbrella واحدة هي تحليل الثقافة كبنية شاملة تكشف عن أنساق مخفية.

من الأدبية إلى الثقافية (النقد الأدبي والنقد الثقافي): انتقل المصطلح من فحص الجماليات (مثل: الاستعارة، الوزن، التشبيه) إلى فحص الوظائف الثقافية (مثل: الأنساق المضمرّة، الهيمنة، التشييء)، ولا يستقيم دون فهم لمعنى النظرية التي "أخذت مجموعة من المسارات والسياقات المعاصرة التي تحيل إلى كيان من النصوص القديمة والحديثة، معنية بالشعرية والسيمائيات ووسائل الاتصال والثقافة المرئية والشعبية والخطاب والشفرات الخاصة بالعنصر والطبقة والجنوسة". (الموسوي محسن جاسم، 2005م، ص20) وبالتالي، فإن تحقيق غاية النقلة النوعية من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي كانت بالانطلاق من مجموعة من العمليات الإجرائية لإحداث نقلة الوظيفية تتجاوز المصطلح والمفهوم من شأنها تمييز هذا النقد بصفة ثقافي، ففي كل خطاب ثقافي نحن دوماً أمام "فحص الخطابات للنش عن المضمرات النسقية وفق منهجية تعتمد مفاهيم المجازات الكلية والتورية الثقافية والجملة الثقافية والدلالة النسقية" (الغذامي عبد الله، 2023م، ص31)، وهذه أهم الركائز الاصطلاحية للنقد الثقافي ولّبه.

وظيفة المصطلح كأداة كشف: في النقد الثقافي، لا يعمل المصطلح لوصف جمالية النص، بل كأداة حفر لاستخراج الأيديولوجيا المختبئة خلف البلاغة، ولا يستقيم دون فهم لمعنى النظرية، لأن الذي يميز النقد الثقافي هو "تركيزه الجوهرى على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو، خاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص، وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البرتوكول للنقد الثقافي ما بعد البنيوي، ومعها مفاتيح التشرّيح النصوي كما عند بارت، وحفريات فوكو" (الغذامي عبد الله، 2005م، ص32) ويكشف هذا التصور عن الأبعاد الفنية للنص في نطاق النقد النمطي الواسع، بارتكاز وظيفته على الناحية الجمالية في الحكم على الأعمال الأدبية وتقويمها دون أن يتم إلحاق الممارسة النقدية بسياق ما هو خارج الأدب، وهو مقابل ما يعمل من أجله النقد الثقافي متبنياً مصطلحات ومفاهيم متداخلة لتفكيك النصوص باعتبارها منتجا ثقافيا مشبعا بالأنظمة والسلطة، مستحضرا للمهمش والمنسي، مما يجعله يتجاوز حدود النص الجمالي نحو السياق الثقافي العام.

2.3 مرحلة التداخل (الاشتباك المفهومي):

في هذه المرحلة يتم الانتقال من مجرد الاستعارة المنهجية وما ينجم عنها من تعدد للمنظومة الاصطلاحية إلى التداخل المعرفي من أجل إنتاج مفاهيم جديدة تتجاوز الحدود الضيقة لتلك الفروع المعرفية، فالنظرة إلى

الخطاب تغيرت وأصبح الاهتمام متزايداً بالأبعاد الخارجية للنصوص، ممّا قلل بشكل ملحوظ من الممارسة النقدية الكلاسيكية التي تعاملت مع الأعمال الأدبية من مركزية فنية ذات طابع جمالي. وإن التركيز على هذه المعطيات يقود إلى التركيز على الانفتاح الثقافي لإثارة وخلخلة الثوابت المركزية وفق مبدأ الشك في التمثيلات والأنظمة السائدة، "فمن طروحات ريتشاردز الذي تعامل مع الأدب بوصفه عملاً أدبياً إلى رولان بارت الذي حول التصور من العمل إلى النص ووقفه على الشفرات الثقافية... إلى فوكو الذي أسهم في نقل النظر من النص إلى الخطاب وتأسيس وعي نظري في نقد الخطابات الثقافية والأنساق الذهنية" (سمير خليل، 2012م، ص60) لأن ما يحدث من اعتبار النص فضاء سياقياً هو التداخل بين داخله وخارجه، حيث أن المصطلح لم يعد يحصر نفسه في الكيان اللغوي للنص، بل يمتد ليشمل السياقات الأخرى خارجه، مما يجعل تلك المصطلحات تأخذ في تكوينها طبيعة ومهمة الترابط والتعدد والتداخل والتجاوز لتشمل جسور الدراسات والمجالات المختلفة سواء أكانت مادية أم فكرية.

4. الوظائف الإجرائية للمنظومة الاصطلاحية في النقد الثقافي

وبالتالي، فالمجال غير متنوع لرصد كل اصطلاح ومشاركاته مع النظريات والحقول المعرفية الأخرى نظراً لتشابكها مع حدود النقد الثقافي، لكن يمكن تقديم ترسيم كمحاولة للتعامل مع تلك الحقول من زاوية ما يلتزم به من موضوعات وما يستثمره بوصفه ممارسة وفعالية نقدية تتشكل داخل منظومة اصطلاحية مؤسسية لها وظائفها الإجرائية التي تلتزم بدراسة الظاهرة الثقافية داخل الخطاب الأدبي. وإلا كيف تختلف وظيفة النقد الثقافي بالأخذ في الاعتبار بأنه يعد مشروعاً فكرياً يتجاوز فحص النصوص الجمالية إلى تحليل الأنساق المضمرّة التي تتحكم في الثقافة والمجتمع؟

لتحقيق ذلك، تعتمد المنظومة الاصطلاحية لهذا النقد (مثل: النسق، المضمّر، التمرکز، الهامش، الآخر، السلطة، الهيمنة) على عدة وظائف جوهرية تمنحه القدرة على الكشف والتشريح والنقد، حيث يتحول المصطلح من أداة للتقييم البلاغي إلى أداة لتقييم القيم والسلوكيات والإشارات والأعراف والرموز التي يكرسها النص، "بحيث يغدو التحليل الأدبي أداة يتم توظيفها من أجل أهداف ثقافية عامة، يجري تشييدها من خلال النقد الثقافي" (خضرواي إدريس، 2014م، ص115) خاصة بما يتميز به المصطلح الثقافي أنه عابر للتخصصات، ويمكن تلخيص ما سبق كالآتي:

الوظيفة الإجرائية (الهدف)	المنظومة الاصطلاحية (التعدد)	المرجعيات النظرية للتداخل
الوظيفة البنائية: الكشف عن آليات الهيمنة المتمثلة في الأنساق المضمرّة (غير المعلنة) في الخطاب النقدي.	الهيمنة الثقافية، النسق المضمّر، التشفير/ فك التشفير، المقاومة، المؤسسة	الدراسات الثقافية (مدرسة برمنغهام) Cultural Studies
• دراسة كيفية تصوير الآخر (المرأة، الشرق، الأقليات) في الخطاب.		
الوظيفة التحليلية: تفسير الظاهر والمستتر أو ردود فعل الترميزية لأشكال الإنتاج المادي	الطبقة، الاغتراب، الايديولوجية، الهيمنة	النقد الماركسي (مدرسة فرانكفورت) Marxistcritics
• تحليل كيفية تحول الثقافة إلى سلع تخدم النظام الرأسمالي		
الوظيفة الكشفية (فضح آليات الهيمنة): إعادة الاعتبار للفئات المهمشة وثقافتها التي تم إقصاؤها تاريخياً من قبل الخطاب الرسمي أو السلطوي.	الهامش، الأخيرة، المركز، التمثيل، الاستشراق، الهجنة، الإثنية، الذاتية	نقد ما بعد الاستعمار (ما بعد الكولونيالية) Post-colonial Criticism
• كشف مخلفات ورواسب الاستعمار في اللغة.		

الجنس ، الجنوسة، المركزية
الذكورية، الأنوثة، البطريكية/
الأبوية

الوظيفة التحليلية: ممارسة التحليل الثقافي المرتبط
بالمسائل والقيم والمعتقدات النسوية في النصوص
الموجهة مباشرة إلى المرأة.

الثقافة، الطقوس، الأسطورة،
الأنسنة

الوظيفة البيئية: الكشف عن الرموز في استخدام
اللغة، وكيفية تمرير المؤسسات أفكارها عبر اللغة.

- دراسة الأدب وتفسيره كوحدة كلية لا تنعزل
عن التخصصات/ الثقافات الأخرى.
- تحليل السلوكيات البشرية المعاصرة

مفاهيم الفكر الفرويدي
واليانجي؛ الأنا، اللاشعور،
النرجسية، الأنا العليا، التسامي

الوظيفة الكشفية: الكشف عن أهمية الرموز وعملها
كأدوات فحص لتوضيح كيف يتم ترويض الوعي
الجمعي في النصوص بعمق ومقدار أكبر من الإبداع.

العلامات، الإشارات، الرموز،
الدلالة النسقية، الجملة
النحوية، الدلالة الصريحة

الوظيفة التحويلية (من الجمالي إلى الثقافي): البحث
عن الفاعل والمؤثر في الثقافة من خلال تحويل الهدف
أو الغرض من النقد من الجمالي إلى الثقافي، بالتحويل
من البنى إلى النسق.

- التزويد بطرق لتجلي النصوص في الثقافات،
والثقافات كنصوص (الثقافة نظام إشارات
وأعراف أو قواعد لتفسير هذه العلامات)،
وتفكيك الشفرات الثقافية.
- كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/
الجمالي

اللامركزية، السلطة/ المعرفة،
الأثر، النسق، اللايقين،
التشظي، الدلالة النسبية

الوظيفة التفكيكية/ نقد المركزية: خلخلة المعنى الثابت
بإثبات أن النص يتناقض مع نفسه، وتفكيك المفاهيم
السائدة التي تفرضها الثقافات.

- استخراج الأنساق الثقافية المختبئة وراء
الجماليات الأدبية.

ينظر: (خليل سمير، 2016)

هذا التحليل الذي تشيده المنظومة الاصطلاحية للنقد الثقافي يتغذى من نظريات ومناهج وقضايا تتميز بالتنوع الثقافي والتعددية الثقافية، وقد اقتضى هذا الاتساع اللجوء إلى المنظور النقدي بهدف الوصول إلى أكبر قدر ممكن من التعمق والتحليل في الكشف عن الأنساق التي ترعاها الثقافة داخل النصوص، والتي تتطلب اتساع النظر في فهم الطبيعة الجدلية في تكوين هذا النقد الذي تؤسسه النزعات الفكرية والدراسات الثقافية، "في الكشف عن الأشكال الإيديولوجية التي تعبر بها عن هذه الممارسات عن نفسها في خطابات وأشكال مختلفة، محددة بذلك مجالا بحثيا للنقد الأدبي تمثل في دراسة العلاقة بين الأدب والممارسات الثقافية وتبثير القراءة على الكيفية التي يتم بها بناء الخطاب وتنظيمه وتفحص نوع الآثار التي تحدثها هذه الأشكال والصناعات لدى قراء محددین في وضعية محددة" (إيغلتن تيري، 2006م، ص326) على العموم، يمكن القول إنه على المستوى

الإجرائي لا يمكن التخلي عن فكرة اعتماد المناهج النقدية، كما لا ينبغي أن ينبني على فكرة القطيعة الإستمولوجية، حيث يتم الوقوف عند كل ضمور منهجي ينتهي إليه. لكن، ينبغي الاستفادة من تراكمات التجارب والقيام بتطويرها بالاشتغال عليها؛ إما بتطوير الجهاز المفاهيمي، أو بتحسين غايات القراءة.

إذن، فالخطاب النقدي الثقافي خطاب مفتوح على مجال معرفي متعدد الاهتمامات يتجاوز المؤسسة التي تفترض معايير الجمالية، وفي علاقته بالنظرية تتحدد علاقة المسألة مع معيار الثقافية، فليس كل خطاب يدعي أنه ثقافي، وتبعا لهذا يمكننا القول بأنه ممارسة وإسهام نظري أيضا فيما يتصل بالنظرية من ناحية كونها مرنة تتغير وتأخذ طرائقا متغيرة، وإنما تمتد إلى منظومة اصطلاحية تتحدد وظائفها بتلك القراءة العميقة والشاملة للثقافة عبر تفكيك نصوصها المختلفة للكشف عن الأنساق الخفية والضيقة التي تحكمها وتؤثر فيه، والتداخل الاصطلاحيانما هو الاستجابة المنطقية لتعدد الظاهرة الثقافية داخل الخطاب الأدبي.

5. نسقية الخطاب وتجاوز النص:

انتقل النقد الثقافي في بداياته من مجرد اصطلاح لوصف ممارسة نقدية جديدة في دراسة ونقد النصوص إلى تحوله لنسق فكري متكامل، يركز على الكشف عن المضمّر. و"كلمة النسق، بنية مضمرة (دلالة مضمرة)، تتحدد عبر منجره الوظيفي في النص وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حين حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، ويكون المضمّر ناقضا وناسخا للظاهر، كون ذلك في نص واحد، أو في ما هو في حكم النص الواحد" (الغذامي عبد الله، 2005م، ص77) وبهذا يمثل النقد الثقافي نقدا نسقيا في عدم اعتناؤه بالبنى كثيرا، بل في تعامله مع الأنساق، وقد طرح الناقد سعيد يقطين فكرة مهمة من خلال كتابه **الفكر الأدبي العربي البنيات والأنساق**، كانت بمثابة إحالة واضحة للتحوّل من البنية إلى النسق في تمثيلها النقلة الكبرى في تجاوز النص بوصفه وحدة لغوية كلية، إلى تمثله كنسقٍ بوصفه نظاما سلطوياً مهيمناً. وهذا التحول المهم يوازي الانتقال البنيوي لـ رولان بارت Roland Barthes من التركيز على النص إلى تحوله إلى نسج من الخطابات التي تتجاوز حدود اللغة وتتعدد فيها الدلالات.

ويقترح النقد الثقافي قراءة يمتلك فيها النص والعالم معاً، حيث لا يمكن فهم وتحليل النص بمعزل عن المجموع الثقافي الذي أنتجه، فهو يتحرك وفق ما تسميه التاريخية الجديدة **الكل المركب**، مما يعني أن كل جزء يتطلب فهم الكل، كما لا يتم التركيز على النص وإنما على عكس ذلك يتم تعزيز مفهوم الخطاب وهو ما تحدث عنه الناقد إدوارد سعيد، لأن الخطاب مساهم في توسيع حدود النص، كما أنه يستدعي مفهوم الصراع داخل الخطاب. إن ثمة صراع ثقافي يراعيه الاعتماد على نظريات اللغة والفروقات بين اللغة الرسمية ولغة التواصل العامة التي تتلاءم مع القوانين التي يملئها المجتمع، وهكذا تقوم الممارسة النقدية للخطاب على مقدمة أولية ترى أن المعنى كما "يشير إليه شوتر Schutz وبيرجر Peter Ludwig Berger يعتمد على الاختلاف بين أساليب اللغة داخل السياقات المختلفة كأساس لتحديد المجالات المستترة للمعنى". (بيرجر بيترل، فوكو ميشال وآخرون، 2009م، ص317)

ينطلق النص في النقد الثقافي من معايير معتمدة؛ أدبية وجماهيرية ونخبوية، فلا إطار منهجي للدراسات الثقافية لأنها تقوم فقط على الجمع بين الأفكار وخلق نسق خاص بها، غير أن النقد الثقافي هو نقد نسقي يُحقّر ما وراء البنى من أجل المغايرة والبحث عن التناقضات التي تعميها الثقافة، والتي أنتج هذا النص في سياقها. وهو ما يؤكد بول دي مان بقوله: "أن كل نص يتظاهر بتأكيد معنى إيجابي معين، ولكنه يسوق خلسة معنى آخر قد يكون سلبيا، يظل خفياً في داخله، كما تبقى الشمس خفية في الظل، أو الحقيقة في الخطأ" (بول ديمان، 2000م، ص06) ولهذا، فإن مشكلة القراءة تستلزم معرفة كيف نقرأ، حيث يمكن تعطيل النتائج الصريحة والواضحة باطلاق الأحكام الجزئية والكلية في النسق. والنقد الثقافي إنما هو نقد للأنساق بما تعنيه بالتفكير في ما وراء البنى Behind Structures وما تحمله من تصورات خفية التي تشكل نقطة الارتكاز بالنسبة لما وراء ذهنية المؤلف، وعلى القارئ ملاحظة زاوية العمى كظاهرة في حد ذاتها من أجل الكشف عن الدلالات تحت العتمة، وقد تعزز تلك الأنساق عمق الخطاب بوصفه مجال سلطة وإعادة بناء رمزي يستند تمثيلة بالمقابلة التكاملية بين النص الأولي ونمط تمثيله بمنزلة الرمز أو النسق المضمّر في الخطاب. وفي هذا الإطار يتوضح أن النقد الثقافي حسب عبد الله الغذامي أساساً "يتأسس على تلمّس الأنساق المضمرة وفحص الخطابات

للنبش عن المضمرات النسقية وفق منهجية تعتمد مفاهيم المجازات الكلية والتورية الثقافية والجملة الثقافية والدلالة النسقية" (الغذامي عبد الله، 2023م، ص31)

تتلخص وظيفة النسق في منح الخطاب سلطته وتأثيره بتمرير قيم إيديولوجية دون وعي وبطريقة غير مباشرة تتجاوز إرادة المؤلف، وتمنع القارئ من الإغراق الجمالي للنص والإمتاع والإقناع الفني، بل يعمل على إثارة الشك والتساؤل بمحاولة عدم احتكار النص وفهمه، بما يعتمد على الانفتاح على السلوك الاجتماعي ومجالات الثقافة، والخروج من سلطة المؤسسة من أجل تحرير النص من السياق والفهم البنيوي المغلق، لأن نموذج النسق هو النموذج الذي "تعتمد عليه مقولة النقد الثقافي، يعتمد على فكرة البنية ثم كشف طبقات البنية المضمره لشيء من اللاوعي النصوسي، مع إمكان توسيع البنية النصية لتشمل بنية الخطاب" (الغذامي عبد الله، 2017م، ص85) وإن كان النسق يطرح إشكالا منهجيا مركزيا وحقيقيا يتعلق أساسا في التعامل معه لا مجرد عنصر فني واعي ومقصود يختبئ وراء جماليات اللغة، فإنه يعدّ عنصر مراوغة في النص يركز على طبيعته العلانية الجدلية من خلال المغايرة والانتظام (أبو ديب كمال، 1981م، ص73 (ينظر)). ممّا يعني اعتناؤه بالمضمر مقابل الظاهر في تشكله وانحلاله في النص؛ "لكونه يتطلب وجود نسقين متعارضين يكون فيهما المضمر الخفي ناسخا للعلن الظاهر، وأن كل خطاب أدبي لا يجسد هذا التعارض الناسخ يكون غير قابل لأن يندرج ضمن مجال النقد الثقافي" (المصباحي عبد الرزاق، 2015م، ص36)

غير أن أكبر تحديات النقد الثقافي التي تواجه طرحه حول نسقية الخطاب هي اتهامه بإقصاء الجمالية، فعندما يتحول النص إلى مجرد وثيقة ثقافية لتحليل الأنساق، قد يفقد القيمة الفنية داخله كأبداع أدبي فريد، فيصبح مجرد أداة سوسولوجية. ويلاحظ من هذا المنظور، ما أثاره عمل هومي بابا Hommi BHABHA في كتابه موقع الثقافة؛ أحد أهم الأعمال المعبرة عن النظرية ما بعد الكولونيالية، اهتماه المتباين حول النقد الثقافي ما يوافق إحدى زاويتي هذا الخلاف وجهة النظر هذه، فمن جهة فإن الثقافة قد تمضي بالنقد الثقافي إلى مناطق جديدة ومهمة بصورة حاسمة، بترك أثرها البالغ على الطريقة التي ندرك من خلالها الممارسات الثقافية. ومن جهة أخرى العمل فيه تصدير الخطاب واللغة على كل ما هو مادي، وإعلاء من شأن النص والتحليل النفسي السيميائي بحيث يتبدى كل أمر على أنه ليس غير، نص يتحرك بآليات سيميائية ونفسانية تحل محل الوقائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتغزل الثقافة عن دورها الاجتماعي والسياسي وتغرقها في هذا الضرب من مفهوم النصية. (بابا هومي، 2004م، ص23، 24 (بتصرف))

6. خاتمة:

في الختام، خلّص البحث إلى النتائج الآتية:

- ضرورة الخروج من مركزية المؤسسة الأكاديمية والجمالية لا يعني طرح لفكرة التخلي عن النقد الأدبي، وإنما هي مجرد نقاش حول ضرورة وجود بدائل ثقافية جديدة.
- هناك مرجعيات ومنظورات مختلفة للنقد الثقافي، ولكن قد يقع الناقد الثقافي في فوضى منهجية، يحتاج وفرتها كما يحتاج أيضا إلى طريقة توظيفها.
- إن الانتقال من الوظيفة الاصطلاحية إلى نسقية الخطاب هو انتقال من تفسير المعنى إلى كشف آليات إنتاج المعنى. والإشكال الحقيقي يكمن في إيجاد توازن يضمن للنقد الثقافي صرامته المنهجية دون أن يفقد النص خصوصيته الإبداعية.
- من أهم منجزات المنظومة الاصطلاحية في النقد الثقافي حدوث ازدواج دلالي أحد طرفيه عميق ومضمر وهو أكثر فاعلية وتأثيرا من ذلك الظاهر، يمثل طرفا دلاليا و نسقا كليا ينتظم في الخطابات.
- إمكانية سقوط النقد الثقافي في مطب الحكم النقدي المُدان بالقراءات التعسفية في الكشف عن العيوب النسقية، ممّا يؤدي إلى الحد من مرونة التأويل.

5. قائمة المراجع:

1. أبو ديب كمال (1981)، الأنساق والبنية، مجلة فصول، مج1، العدد4.
2. أيزبرجر أرثر (2003م)، النقد الثقافي - تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوي، القاهرة - مصر، المجلس الأعلى للثقافة للنشر والترجمة، ط1.

3. إيغلتن تيري (2006م)، نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر.
4. بيرجر بيترل وفوكو وآخرون (2009م)، التحليل الثقافي، مراجعة: أحمد أبو زيد، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
5. بابا هومي (2004م)، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1.
6. جاسم الموسوي محسن (2005م)، النظرية والنقد الثقافي، لبنان بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.
7. جاكسون ليونارد (صيف 2012م)، شكلان من المادية الثقافية: المادية في الالأنثروبولوجيا في الدراسات الثقافية، تر: ثائر ديب، تبين للدراسات الفكرية والأدبية، العدد 1.
8. الخضراوي إدريس (2014م)، السرد موضوعا للدراسات الثقافية، نحو فهم لعلاقة الرواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية، مجلة تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية، الدوحة، قطر، العدد 7/6.
9. خليل سمير (2012م)، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، لبنان بيروت، دار الجوهري، ط1.
10. خليل سمير (2016)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة)، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
11. دي مان بول (2000م)، العمى والبصيرة، مقالات في بلاغة النقد المعاصر، تر: سعيد الغانمي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
12. عليمات يوسف محمد (2009م)، النسق الثقافي، قراءة في أنساق الشعر العربي القديم، عمان، عالم الكتب الحديث، ط1.
13. الغدامي عبد الله (2005م)، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ط3.
14. الغدامي عبد الله (2017م)، الجنوسة النسقية، أسئلة في الثقافة والنظرية، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1.
15. الغدامي عبد الله (2023م)، إشكالات النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1.
16. قنصوة صلاح (2002م)، تمارين في النقد الثقافي، القاهرة، دار ميريت، ط1.
17. ليتش فنسينت (2022م)، النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، تر: هشام زغلول، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1.
18. المصباحي عبد الرزاق (2015م)، النقد الثقافي، من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية، بيروت لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1.